

نور سورية

NOUR SYRIA

بَكَتِ الْعُيُونُ عَلَى الْبَتُولِ الطَّاهِرَةِ دَمْعًا تَلَالُأً كَالْجُمَانِ النَّاضِرَةِ
هَمَّتِ الْعُيُونُ وَقَدْ تَفَجَّرَ حَزْنُهَا يَرُوي حِكَايَةَ حُرَّةٍ أَوْ نَائِرَةِ
يَا بِنْتَ حِمَصٍ إِلَامَ أَنْتِ فَرِيدَةٌ فِيكَ الْعُقُولُ بِمَا انْفَرَدَتْ لِحَايِرَةِ
رِفْقًا بِنَا يَا بِنْتَ حِمَصٍ فَرَكْبُنَا يَمْشِي الْهُوَيْنَى فِي دُرُوبِ جَائِرَةِ
حَثَّ الشَّبَابُ خُطَاهُمْ فِي ثَوْرَةٍ غَرَاءَ فِي وَجْهِ الذَّنَابِ الْغَادِرَةِ
فِي وَجْهِ مَنْ سَلَبَ الْأَنَامَ حُقُوقَهُمْ وَفِعَالَهُمْ فِي كُلِّ قُبْحٍ سَافِرَةِ
حَثَّ الشَّبَابُ خُطَاهُمْ تَحْدُوهُمْ قِيمُ التَّحَرَّرِ مِنْ عُسُورٍ غَابِرَةِ
رَامُوا الثَّرِيًّا كِي يَطَالُوا نَجْمَهَا فَرَأَوْكَ مِنْ فَوْقِ الثَّرِيَّا ظَاهِرَةِ
عَجَبُوا مِنَ النُّورِ الْمُسْطَرِّ فِي الدَّجَى فَتَسَاءَلُوا عَنْ سِرِّ شَمْسٍ بَاهِرَةِ
مَنْ هَذِهِ كَيْفَ ارْتَقَتْ لِمَقَامِهَا؟ أَتَى لَهَا بَيْنَ الْعُيُونِ السَّاهِرَةِ؟!
مَنْ هَذِهِ؟ مَنْ لَخَّصَتْ بِجَبِينِهَا مَا سَوْفَ تُبْدِعُهُ الْجُمُوعُ الْهَادِرَةِ
نَظَرُوا إِلَيْهَا ثُمَّ غَضُّوا طَرْفَهُمْ فَرَنْتَ إِلَيْهِمْ بِالْحَقِيقَةِ جَاهِرَةِ
لَا تَعْجَبُوا يَا إِخْوَتِي أَنَا مِنْكُمْ أَخْتُ الشَّهِيدِ وَقَدْ قَضَى بِمُظَاهِرَةِ
أَنَا زَيْنَبُ الْحُصْنِي بِنْتُ دِيَارِكُمْ بِنْتُ الْبُطُولَةِ وَالْدِيَارِ الْعَامِرَةِ
أَنَا مَنْ رُمِيتُ بِمَا ادَّعَا مِنْ فَرِيَةٍ وَسَعَيْتُ فِيمَا سُمِّيتُ بِمُؤَامِرَةِ
أَنَا مَنْ أَتَاهَا حَاقِدٌ مُتَوَحِّشٌ فَاغْتَالَهَا وَقَتَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ
ذَنْبِي بِأَنِّي أَخْتُ لَيْثٍ غَاضِبٍ قَادَ التَّظَاهُرَ فِي أَتُونِ الْهَاجِرَةِ

جَاؤُوا إِلَيَّ وَحِصْنُهُمْ دَبَابَةٌ وَيَقُودُهُمْ مَسْنَخٌ لَأَمٍّ فَاجِرَةٌ
وَنَزِعْتُ مِنْ أَحْضَانِ أَهْلِي عُنُودٌ فَوَجَدْتُ نَفْسِي فِي صَحَارَى مُقْفَرَةٍ
وَتَسَابَقَ الْأَوْغَادُ فِي تَعْذِيبِهِمْ لِي بِالسَّيَاطِ وَفِي مَشَاهِدٍ سَاخِرَةٍ
يَتَضَاكُونَ كَأَنَّهُمْ فِي حَفْلَةٍ وَيُعْرِيدُونَ كَأَنَّهُمْ فِي مَخْمَرَةٍ
بِسُيُوفِهِمْ قَطَعْتُ إِرْبًا وَانْبَرْتُ رُوحِي لِتَشْهَدَ مَا جَرَى فِي الْمَجْزَرَةِ
حَتَّى إِذَا مَا أَيْقَنْتُ وَتَوَقَّعْتُ مِنْ سُوءِ أَفْعَالٍ لَهُمْ مُسْتَقْدَرَةٍ
صَعَدْتُ إِلَى الرَّحْمَنِ تَشْكُو مَا بِهِمَا فَعَدْتُ بِنُوبِ حَنَانِهِ مُتَدَتَّرَةٍ
وَعَدْتُ طَيْرًا فِي رِيَاضِ جِنَانِهِ وَنَعِمْتُ فِي خَيْرَاتِهَا الْمُتَكَاثِرَةِ
وَأَتَيْتُكُمْ فِي حُلَيْتِي وَعَبَاءَتِي حَتَّى أَكُونَ مُعِينَةً وَمُنَاصِرَةً
فَامْضُوا وَلَا تَتَرَاكِبُوا يَا إِخْوَتِي إِنِّي لَكُمْ بِالنَّصْرِ جِبْتُ مُبَشِّرَةٌ
قُولُوا لَأَمِّي أَنْ تَاجَ شَهَادَتِي بَأْتِي لَهَا وَلِوَالِدِي بِالْمَغْفِرَةِ
هُبِّي عَلَيْنَا يَا نَسَائِمَ جَنَّةٍ فِي لَيْلَةٍ جَاءَتْكَ زَيْنَبُ صَابِرَةٌ
مَا كَانَ بَدْعًا يَا جِنَانَ الْخُلْدِ أَنْ تَتَزَيَّنِي، فَلَقَدْ أَتَتْكَ الطَّاهِرَةُ
زُقْتُ إِلَيْكَ عَرُوسٌ جِمَصَ بَلِيلَةٍ سُدَاءَ مَظْلَمَةٍ فَصَارَتْ مُقْمِرَةٌ
يَا رُوحَ زَيْنَبِ حَلْقِي بِسَمَائِنَا فَنُسُورُ ثَوْرَتِنَا إِلَيْهَا طَائِرَةٌ
يَا رُوحَ زَيْنَبِ غَرْدِي بِهِضَابِنَا فَأَسُودُ ثَوْرَتِنَا عَلَيْهَا زَائِرَةٌ
إِنَّ الزَّيَانِبَ فِي الشَّامِ كَثِيرَةٌ يَبْغِينَ صَدَّ فَرَنْجَةٍ وَأَكَاسِرَةٌ
كَمْ زَيْنَبٍ فِي سَاحِ ثَوْرَتِنَا قَضَتْ كَمْ زَيْنَبٍ فِي الرُّكْبِ كَانَتْ حَاضِرَةٌ
كَمْ زَيْنَبٍ مِثْلَ ابْتِهَالٍ وَالْعُلَا(1) كَانَتْ بِقَافِلَةِ الشَّهِيدِ مُسَافِرَةٌ!
يَا آلَ زَيْنَبِ أَبْشِرُوا إِنَّ الْمَلَائِكَةَ حَوْلَ زَيْنَبِ يَمَنَةً أَوْ مَيْسَرَةً
يَا شَعْبَ زَيْنَبِ، إِنَّ زَيْنَبَ تَرْتَجِي إِقْدَامَكُمْ، كُونُوا لِزَيْنَبِ مَفْخَرَةٌ
يَا أُخْتُ زَيْنَبِ إِنَّ مَوْعِدَهَا غَدًا لُقْيَاكِ فِي جَنَاتِ عَدْنِ الْآخِرَةِ
يَا شَعْبَ سُورِيَا الْأَيْبَةِ أَنْصِتُوا لَوْصِيَةٍ مِنْ زَيْنَبٍ مُتَوَاتِرَةٍ
كُونُوا حُمَاةَ الثَّوَرَةِ الْكُبْرَى فَقَدْ لَاحَتْ بِشَائِرُ نَصْرِهَا فِي الْقَاهِرَةِ
وَيَتَوَسَّسُ الْخَضْرَاءُ يَوْمَ تَلَأَلَتْ وَبِهَا اسْتَضَاءَتْ لِبَيِّبَا مُسْتَبْشِرَةٌ
وَهُنَاكَ فِي الْيَمَنِ السَّعِيدِ أَحَبَّةٌ مَأْسُورَةٌ لِقُلُوبِنَا أَوْ أَسِرَةٌ
يَا شَعْبَ سُورِيَا الْمُؤَصِّلِ مَنْبِتًا أَهْدِي الضَّفَائِرَ بِالِدِّمَاءِ مُعْطَرَةٌ
هَذِي الضَّفَائِرُ كُنْتُ قَدْ خَبَأْتُهَا بَيْنَ الدُّمَاءِ أَنْعِمَ بِهَا مِنْ سَاتِرَةٍ
مِنْهَا اصْنَعُوا حَبْلَ النِّجَاةِ لِغَارِقٍ يَرْجُو الْخَلَاصَ مِنَ الْوُحُوشِ الْكَاسِرَةِ
وَبِهَا اشْنُقُوا أَعْنَ الطَّغَاةِ وَرُكْبَهُمْ مِنْ حِقْدِهِمْ تَغْدُو الشَّامُ مُحَرَّرَةٌ

(1) علا ياسر جبلاوي، وابتهاال الخويلد، الأولى: طفلة صغيرة من اللانقية كانت في السيارة مع أبيها فأطلقت عليها النار فقتلت، والثانية: ابتهاال أصيبت برصاصة فأدى ذلك إلى بتر ساقها.

